الأحد 13/1/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعين النووية

كن في الدنيا كأنك غريب

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

عن ابنِ عمرَ رَضِي اللهُ عَنْهُما قالَ: **أَخَذَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبَيَّ فقالَ: ((كُنْ فِي الدُّنيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ))**.

وكانَ ابنُ عُمَر رَضِي اللهُ عَنْهُما يقولُ: **(إذا أمسيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإذا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المساءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، ومِنْ حياتِكَ لِمَوْتِكَ)**،[رواه البخاريُّ].

يدعونا الله عز وجل في القرآن الكريم إلى أن نعمل للدنيا عملاً جيداً، وإلى أن نعمل للآخرة عملاً مبروراً.

مجموع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تدعونا أن نحيا في هذه الحياة الدنيا كما يحيا الناس فنأكل ونشرب ونتزوج ونشتري بيوتاً وعقارات وما إلى ذلك لكن على أساس أن نكون منضبطين بالشرع.

والسنة تأمرنا أيضاً أن نعمر آخرتنا، لكن الذي يحدث أنه في زحمة الحياة الدنيا، وانشغال المرء بأعمال الدنيا ينسى أحدنا مستقره الذي سيبقى به إلى أبد الآبدين.

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل حين يذكر أصحابه بأنكم يا قوم ويا رجال ونساء وأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم محياكم ومقامكم ومستقركم وسعادتكم وهناءكم الحقيقي إنما هو في الآخرة.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يمسك بمنكبي ابن عمر.

والمنكب: هم مجتمع عظم العضد مع الكتف.

فرسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِمَنْكِبَيِ ابن عمر وقالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)).

أي لا بأس لك أن تعمل وتتزوج وتبني داراً في الدنيا... لكن انتبه فإن مستقرك النهائي هو الآخرة

لماذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم المسلمَ في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل؟

1- الغريب عن البلد يحن دائماً إلى بلده:

فالآن بعضنا له أولاد أو إخوة أو أرحام مسافرون فهذا المسافر باستمرار يحن إلى وطنه ويرسم للحظة التي سيعود بها إلى وطنه، فمهما عمل في غربته من أعمال فإن هذا العمل الذي يعمله في الغربة لأجل أن يعود ويستقر ويرتاح في وطنه، فأعماله في الغربة هي رأس مال؛ لأجل أن يقيم إقامة مريحة في وطنه.

فكان معنى ذلك التشبيه أي أنك أيها المسلم وطنك الحقيقي الذي تحن وتشتاق إليه وتتمنى العودة إليه وتبني فيه ما تبني إنما هو الدار الآخرة.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ))، [الترمذي].

قيعان: أي أرض ممتدة فارغة.

فما دمت في هذه الدنيا فيطلب منك أن تبني أبنية كما تبني في الدنيا، لكن أبنيتك تكون للآخرة، فكما أنك تجهز طعاماً في الدنيا مطلوب منك تجهيز طعام للآخرة، وكما تبني قصراً في الدنيا أو تحب أن تبني قصراً أو مركباً مريحاً في الدنيا فمطلوب منك أن تبني قصراً ومركباً مريحاً في الآخرة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ((مَا بَقِيَ مِنْهَا؟))، **قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ**: ((بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا))، [الترمذي].

هذا هو غراس وطعام وبناء وظل الآخرة، وما أكلت وشربته ذهب.

فالنبي صلى الله عليه وسلم شبَّه المسلم بأنه غريب في هذه الدنيا؛ لأن وطنه الحقيقي هناك لأن سيدنا آدم كان في الجنة ثم خرج منها وسيعود إليها، وأنت ابنه فوطنك الحقيقي في الجنة وليس في الدنيا.

هذه الدنيا دار تعب ونصب وبأس وشدة وهمٍّ، لكن استقرارك وراحتك وطمأنينتك هناك في تلك الدار فإياك في زحمة الحياة الدنيا وفي أثناء دراستك وعملك وزواجك وبنائك ومخططاتك أن تنسى مستقرك النهائي ووطنك ؛الحقيقي لأنك لا بد لك في يوم من الأيام أن ترجع لذلك الوطن، وما الشيء الذي ترسمه الآن في الحياة الدنيا إلا انعكاس عما سيكون في الآخرة.

قال بعض الصالحين: **عباد الله إنكم تتكلمون اليوم ويوشك أن يأتي يوم يتكلم الله وتسكتون، ثم تثور من أعمالكم ريح فإن كانت أعمالكم طيبة كان ريحها طيب، وإن كانت أعمالكم قبيحة كانت ريحها نتنة.**

فمن الآن خطط أي الريحين تريد أن تشم في الآخرة، وأي ظل تريد أن تظل في الآخرة، وأي قصر تريد أن تسكنه في الآخرة، وأي مزرعة تريد أن تغرس أشجارها في الآخرة.

الغريب دائماً في شوق إلى ربى الوطن وفي حنين إلى لقيا الأهل والعيال والأحباب، ويحن المؤمن للقيا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كان بعض الصالحين ينشد ويقول:

أحزان قلبي لا تزول حتى أبشر بالقبول

و أرى كتابي باليمين وتقرعيني بالرسول

فإياكم أن تطمئنوا إلى الحياة الدنيا وأن تسكنوا إلى ما فيها وأن تفرحوا بما فيها فكل ذلك مؤقت، ولا يدري أحدنا متى ينتقل إلى تلك الدار، ولا يزال قلبه يتلهف إلى مفارقته حتى يصل إليه

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**))، [مسلم].

فالمؤمن يحب لقاء الله؛ لأنه سيرجع إلى وطنه.

لو حسبنا الصدقات بحساب مادي لوجدنا بأن الذي يتصدق خاسر، لكن إذا فكرنا في الدار الآخرة لكان هذا العطاء رابح؛ فلذلك أنا أنتظر اللحظة التي أعود بها إلى تلك الدار لأستلم ما قدمته.

أحد حفاظ القرآن الكريم جاءته سكرات الموت فجعلت ابنته تبكي، ففتح عينيه وقال: يا ابنتي لم تبكين؟! انظري إلى تلك الزاوية والله لقد ختمت في تلك الزاوية18000 ختمة قرآن كريم.

والد الإمام البخاري عندما نزلت به سكرات الموت جعلت ابنته تبكي، فقال: يا بُنَيَّ لم تبكين فوالله ما أدخلت إلى جوفي ولا جوفكم لقمة حرام.

ذكروا عن سليمان بن عبد الملك أنه ذهب إلى الحج فلما دخل الحرم سأل عن عالم يُذكِّره بالله ويرقق القلوب، فقالوا له: أبو حازم سلمة بن دينار، فقال: ائتوني به، فلما أتاه قال له: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم، فأنتم تكرهون الانتقال من العمار إلى الخراب، قال: يا أبا حازم كيف القدوم على الله؟ قال: أما المحسن فكالغائب عاد إلى أمه، وأما المسيء فكالعبد الآبق عاد إلى سيده.

عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((**كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا، وَكَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى، وَكَفَى بِالْعِبَادَةِ شُغْلًا**))، [البيهقي].

فلما سمع ذلك سيدنا عمر اتخذها ختماً له فعن محمد بن المتوكل قال : (**بلغني أن خاتم عمر نقشه كفى بالموت واعظاً يا عمر**)، [ابن عساكر].

أحد الإخوة رأيته يضع شكلة غريبة وهي عبارة عن هيكل عظمي ولونها فوسفوري تضيء في الظلام، فسألته؟! فقال: لأتذكر ما سيحدث معي.

أحد الإخوة كان يصنع تابوت صغير ويضعه في غرفة الاستقبال.

أحد الرجال كان لديه تابوت في أرض داره في كل يوم يتمدد فيه ثم يقرأ قول الله تعالى: ﴿ . . .قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ. . . ﴾، [المؤمنون: 99-100] ثم يخاطب نفسه فيقول: قد أرجعناك.

2- شبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بالغريب؛ لأن الغريب يدخر من باب الغربة ويجمع من الهدايا والتحف ما يتنعم به في بلده بين الأهل وذوي القربة.

فمن الآن على كل واحد بيننا أن يرى ما يحب أن يستمتع به في الآخرة، فليجهزه في الدنيا وليرسله حتى إذا ذهب وجد ما أرسل.

يقول ابن رجب الحنبلي: (**لما خلق الله آدم عليه السلام أسكنه مع زوجته الجنة، ثم أهبط منها ووعد بالرجوع إليها وصالحوا ذريتهما**).

((**أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**)).

شبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بعابر السبيل:

أ. لأن المسافر يتخذ من الخلان من يدله على الطريق؛ لذلك وأنت في هذه الحياة اتخذ من يدلك على الطريق الذي يوصلك إلى البلد الذي ستذهب إليها، أما لو اتخذت إنساناً أضاعك فسيوقعك بهلكة في الآخرة.

ب. لأن المسافر يكون حذراً من اللصوص وقطاع الطريق.

فأنت في طريقك إلى الله احذر من قطاع الطريق الذين يسرقونك عن درب الله تعالى.

✓ أحياناً يكون قاطع الطريق امرأة تدعوك إلى نفسها في الحرام، أو رجلٌ يدعوكِ إلى نفسه في الحرام، فهذا قاطع طريق يريد أن يأخذك من طريق الله ويجعلك سلعة من السلع.

✓ أحياناً يكون قاطع الطريق شهوة مال حرام يدعوك إليها صاحب أو جار أو شريك يريد منك أن تقع في صفقة محرمة.

✓ أحياناً يكون قاطع الطريق خوف يدخل في أعماقك من تطبيق شرع الله، فيقول لك خوفك: لو بحثت عن الحلال فربما ستفتقر ولن تتزوج أبداً، إذا أتيت إلى المساجد فربما يكتبون اسمك ثم تختفي من الوجود...

✓ أحياناً يكون قاطع الطريق زوجتك التي تدعوك لعق أمك.

✓ أحياناً يكونون أولادك الذين يدعونك إلى أن تجمع لهم المال من حلال أو حرام.

فإياك ومن يقطعك عن طريقك، وكن كالصياد الماهر فلا يبتعد طرفه عن هدفه.

أنت هدفك **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**، فلا تُزِلْ طرفك عن هدفك مهما ناداك المنادون.

ت. شبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في الدنيا بأنه عابر سبيل؛ لأن عابر السبيل يتزود لسفره؛ لذلك احمل حاجياتك معك ما دمت في هذه الحياة الدنيا.

أيها الإخوة مطلوب منا أن نعمل في الحياة الدنيا ما استطعنا لكن إياك أن تنسى أن تعمل للدار الآخرة، وإياك أن تنسى أن مستقرك النهائي هناك، وما عملك في هذه الحياة الدنيا إلا لأجل أن تعمر الدار الآخرة.

أريد أن أسألكم سؤالاً: إذا كان هناك إنسان من المغرب وجاء زيارة لفترة إلى دمشق وهو غريب عنها فلا يعرف حارات وشوارع وزيارات ومؤسسات وحدائق المدينة؛ لأنه غريب لكنه يعرف جيداً حارات وشوارع بلده.

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لك: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ)) فكأنه يريد أن يقول لك: **كن في الآخرة كأنك من أبنائها**، فعلى كل واحد منا أن يعلم بشكل متقن حارات وطرق وحدائق ومؤسسات الآخرة؛ فإذا ذهبت غداً للآخرة تكون عالماً بمداخل ومواقف الآخرة.

❖ فيجب أن تعلم السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))، [البخاري].

❖ يجب أن تعلم من هم الناس الذين يغرقون في عرقهم بالآخرة ويلجمون في العرق إلجاماً لئلا تكون منهم وأنت لا تدري.

عن الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ))، **قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَ اللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ، قَالَ:** ((فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا))، **قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ**، [مسلم].

❖ يجب أن يعلم أفعال الناس وما يلاقوه من أجر أو وزر.

عن **أَبِيْ مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْبَلَ إِلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ:** ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللَّهِ))، **فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَاسٌ مِنْ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللَّهِ! انْعَتْهُمْ لَنَا (يَعْنِي صِفْهُمْ لَنَا)، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** ((هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ

الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابَهُمْ نُورًا يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))، [الإمام أحمد].

ولأعرف أبناءها أحتاج لصديق يدعوني لهذه العلامات، ومعلم يدعوني لهذه العلامات، وأن أعمل حتى أكون من هؤلاء الناس الذين يعرفون الآخرة وما يحيط بها.

بالمقابل فإن رسول الله حدث عن أناس يحشرون كأمثال الذر.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ))، [الترمذي].

الذَّرّ: النمل الأسود الصغير.

وأناس يلجمون بلجام من نار.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ))، [الترمذي].

عَنْ عَمَّارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ))، [أبو داود].

فتجده مع الصالحين صالحاً ومع الشريرين مثلهم.

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ، رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟! فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا))، [البخاري].

فهذه هي علامات الآخرة وكل عمل من هذه الأعمال علينا أن نعلمها حتى لا يقع أحدنا فيما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله تعالى به، ثم يذهب للآخرة فيقول: لم أكن أعلم أن هذا الأمر مصيره هذا.

نحن نريد أن نعيش في هذه الحياة الدنيا، لكن نريد أن نعيش لأجل أن نبني الآخرة، أما لو كان الإنسان يريد أن يعمر دنياه فيذهب بآخرته فلا.. ولتذهب كل الدنيا ولتبق الآخرة مع العلم أنه بإمكانك أن تجمع الاثنتين والله قال في القرآن على لسان المؤمنين: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، [البقرة: 201].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ ، وَلا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ حَتَّى يُصِيبَ مِنْهُمَا جَمِيعًا فَإِنَّ إِحْدَاهُمَا بُلْغَةُ الأُخْرَى وَلا تَكُونُوا كَلًّا عَلَى النَّاسِ**))، [ابن عساكر].

لكن إذا وصلتم إلى لحظة أو نقطة أو يوم خيرتم بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة ولو ذهبت الدنيا.

وكانَ ابنُ عُمَر رَضِي اللهُ عَنْهُما يقولُ: (**إذا أمسيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإذا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المساءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، ومِنْ حياتِكَ لِمَوْتِكَ**).

هناك كتاب اسمه **سير أعلام النبلاء** ترجم فيه الإمام الذهبي لكبار نبلاء هذه الأمة من علماء وصالحين ويوجد بداخله عبارة تكررت معي عدة مرات في الكتاب وهي تقول: **لو قيل له إنك تموت غداً ما غير شيئاً من عمله.**

هل يمكن لك أن تقولها؟ فمعنى هذه العبارة أن ليس لأحد عندك حق، ولست عاقاً بوالديك، ولا يئن أولادك من سوء أخلاقك ولا ينقصك صلاة.

من لم يكتب وصيته إلى الآن فليكتبها وخاصة حقوق العباد التي لهم عليك، وأشهد على كلامك وكتابتك.

أحد الإخوة قال لي زوجتي عمرها 28 سنة، ولا تشكو شيئاً على الإطلاق، وفي الليل سمعت شخيراً لها –وليس ذلك من عادتها– ثم ازداد الشخير، ثم شخرت شخرة قوية فلما أيقظتها لم تستيقظ فاتصلت بأختها الطبيبة لتأتي، فلما أتت مع زوجها أخبرتني بأنها ميتة.

غداً إذا طال بك العمر ومرضت فلن تستطيع أن تعمل كعملك اليوم وأنت صحيح فاعمل وأرسل للآخرة.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.